هوامش

لكلّ لبناني قصّة تسردُ مشاعره ومخاوفه وما رآه لحظة الانفجار الضخم الذي ضرب مرفأ بيروت. ستبقى هذه القصص الصعبة عالقة في ذاكرة كلّ لبنانيّ ولبنانيّة

اسفر الانفجار عن مقتل ما لا يقل عن 163 شخصاً وإصابة خمسة آلاف (حسام شبارو/ وكالة الأناضول)

انفجار بيروت
صور وقصص لن يمحوها الزمن

بيروت ـ **العربي الجديد**

لا تزال الصدمة تسيطر على الوعي العام اللبناني إثر الانفجار الهائل الذي ضرب مرفأ بيروت. إذْ يُعتبر من بين أضخم وأعنف الانفجارات التي ضربت حواضر بشريّة في التاريخ، إلى جانب انفجاريّ هيروشيما وناكازاكي، لَما ضربتهما الولايات المتحدة الأميركيّة بقنبلتين نوويتين. نسمع يوميًا عن قصص الناس وهم يتحدّثون عن مشاعرهم، وأوّل ما شاهدوه بعد الانفجار، فعندما شعر مصور وكالة «رويترز» محمد عزاقير بالأرض تهتز تحت قدميه، كان أول ما تبادر إلى ذهنه هو أن بيروت تشهد زلزالاً، ثم دوى صوت الانفجار. حمل عزاقير كاميرته وهرع خارجاً إلى شوارع المدينة، في محاولة لتحديد مصدر الانفجار. وعندما وصل إلى الميناء، أدرك أنه قريب.

كانت الجثث متناثرة في كل مكان، والناس يصرخون. رأى عزاقير رجلاً عالقا تحت سيارة مغطى بطبقة سميكة من الركام والدم. في البداية، اعتقد أنه ميت. لكن الرجل فتح عينيه وأخذ يلوح بذراعيه طلباً للمساعدة. نادى عزاقير على بعض أفراد الإنقاذ الذين كانوا على مقربة. وفي سلسلة من الصور الدرامية، وثق لحظة إنقاذ الرجل، بينما كان يساعد في الوقت نفسه أفراد الإنقاذ على تحريك المركبة لتحريره.

التقط عزاقير صوراً للرجل أثناء نقله على محفة بينما كانت سحب الدخان الأسود تتصاعد من حطام المستودعات في الخلفية. أبلغ أفراد الإنقاذ عزاقير أنهم سينقلون الجريح إلى مستشفى. ولم يتسن لـ«رويترز» التحقق من هوية الرجل أو معرفة المستشفى الذي نُقل إليه.

وقع أسوأ انفجار تشهده بيروت في وقت السلم بعد اشتعال النيران في كميات من نترات الأمونيوم التي كانت مخزنة في مخزن بالميناء. وأسفر الانفجار الذي وقع يوم الثلاثاء الماضي، عن مقتل ما لا يقل عن 154 شخصاً وإصابة خمسة آلاف وتشريد نحو ربع مليون شخص. وقال عزاقير الذي يغطي الأحداث في لبنان منذ عام 1981 «كان الأمر أشبه بتصوير فيلم رعب في مدينة مدمرة». وفي ذات السياق، وقفت اللبنانية إسراء السبلاني (29 عاماً) بفستانها الأبيض مبتسمة أمام المصور، لتسجيل الفيديو الذي سيحفظ لها ذكريات يوم زفافها. وفجأة اهتز كل شيء في دوي يصم الآذان وكادت موجة الانفجار الهائل تطيح بالعروس من مكانها على الأرض. وساعدت إسراء الطبيبة التي تعمل في الولايات المتحدة في فحص الجرحى في المنطقة القريبة، قبل أن تغادر ساحة الصيفي في وسط بيروت طلباً للأمان. وفي اليوم التالي، كانت هي وزوجها رجل الأعمال اللبناني أحمد صبيح (34 عاماً) يحاولان استيعاب ما حدث.

وقالت إسراء، لـ«رويترز»، إنها كانت تستعد ليوم الزفاف منذ أسبوعين وكانت السعادة تغمرها مثل كل الفتيات، لأنها ستتزوج ولأن والديها سيفرحان لرؤيتها بفستان الزفاف الأبيض، وكانت ترى نفسها تبدو في صورة أميرة. وأضافت أنّ الانفجار الذي وقع خلال التصوير لا توجد كلمات تفسره، وتحدثت عن شعورها بالصدمة والتساؤلات تدور في رأسها عما حدث، وعما إذا كانت ستموت وكيف ستموت. وخلفها تناثرت على الأرض أكوام الزجاج المكسور من نوافذ الفندق الذي كان من المقرر أن تقيم فيه، مع بقايا الزهور التي كانت تزين موائد حفل الزفاف. وكانت إسراء قد وصلت إلى بيروت، قبل ثلاثة أسابيع، للتحضير للزفاف. وتستعيد إسراء الأحداث التي أعقبت الانفجار، الذي قال مسؤولون إنّ سببه مخزونات ضخمة من مواد شديدة الانفجار في مرفأ بيروت. تقول إسراء إنها سارت هي وعريسها في المنطقة وكان المشهد محزناً للغاية، ولا يمكن وصف الدمار أو صوت الانفجار. وتضيف أنها لا تزال في حالة صدمة وأنها لم يسبق لها أن سمعت دوياً يشبه صوت الانفجار. قالت إنها تشعر بحزن شديد لما أصاب الناس وأصاب لبنان، وأضافت أنّ الشيء الوحيد الذي قالته عندما أفاقت وشاهدت ما حاق ببيروت من دمار «كان هو الحمد لله على بقائها على قيد الحياة». وبعد الانفجار، حاولت إسراء وزوجها التماسك ومواصلة احتفالاتهما. قالت إسراء إن زوجها قال لها إن عليهما الاستمرار وإنه لا يمكنهما التوقف. إسراء تحب لبنان لكنها تشعر بأنّ الحياة فيه لم تعد خياراً مطروحاً بعد انفجار يوم الثلاثاء. ولا تزال تحاول التماس الفرحة في الزفاف الذي استغرقت وقتاً طويلاً في الإعداد له. قالت: «مظبوط صار في أضرار كتيرة بالبلد. عالم اتوفت الله يرحمها والشفاء العاجل للجرحى. بس كمان إذا أنا اتطلع بحالي وبزوجي والفوتوغرافر (المصور) اللي كان معنا، إن في كتير من العالم حوالينا اتضررت واحنا بقينا بخير وسلامة، الله حمانا فنقول نشكر الله على هيدا الشي». وأضافت: «هيدا الشي بحاله بيخليني ضلني متفائلة وأقول الحمد لله وانبسط. الفرحة اللي أنا جاية كرمالها تضل موجودة».

باختصار

قال محمد عزاقير الذي يغطي الأحداث في لبنان منذ عام 1981 عن الانفجار «كان الأمر أشبه بتصوير فيلم رعب في مدينة مدمرة».

■■■

تحدثت إسراء عن شعورها بالصدمة، والتساؤلات تدور في رأسها عما حدث، وعما إذا كانت ستموت وكيف ستموت.

■■■

قالت إسراء إن زوجها قال لها إن عليهما الاستمرار وإنه لا يمكنهما التوقف، وحاولا التماسك ومواصلة احتفالاتهما.

وأخيراً

حمد الصرّاف إلى «غولدن غلوب»

محمود الرحبي

إذا كان توفيق الحكيم يُعتبر رائدا للمسرح الذهني عربيا، وهو نوعٌ من المسرح يصعب تجسيده، فإن المخرج والسيناريست الكويتي الشاب، حمد الصرّاف، قد دشّن محاولة سينمائية متميزة، تعتمد على محاورات الذهن، من خلال فكرة تتمحور حول رجل يحاول السّيطرة على ذكرياتٍ لا تخصّه، قبل أن تُغيّر هذه الذكريات مجريات حياته وتستبدّ بتفكيره تماما؛ وذلك في فيلم سينمائي عنوانه «إن بارادوكس» (إنتاج 2019)، والذي دخل أخيرا دائرة اهتمام شبكة «نتفليكس»، أكبر وأشهر المنصّات الدولية لعرض الأفلام. وبذلك دقّ حمد الصرّاف أبواب العروض العالمية، ولفت الأنظار إلى منجزه السينمائي، ليس فقط من خلال عرض فيلمه في هذه المنصة الرائدة، إنما أيضا لأنه أول شريط كويتي يدخل قائمة «غولدن غلوب» للمنافسة في فئة الأفلام الأجنبية.

وكان الصرّاف قد قال إنه فكّر في فيلمه عشر سنوات، قبل أن يقدم على إنجازه، وإنه لم يكن ليتصور أن تنبثق في ذهنه أي فكرة تصلح للسينما حين مرّ، خلال زيارته جزيرة فيلكا (فيلجا) الكويتية، على بيوت مهجورة صيّرها الزمن أطلالا. تخيّل أنه عاش ذكرياتٍ بين تلك الخرائب، فتواردت الصور في خياله، وهو طفل يدأب على مزاولة ألعابه وشغبه الطفولي مع طفلة في ذلك المكان. وعلى الرغم من أنه لم تكن له من ذكريات هناك، بما أنه نشأ وترعرع في أميركا، فقد وضعته انطباعاته وتخيّلاته، وهو يعبر بمحاذاة تلك الأطلال، أمام خيارين: طرح الحادثة الغريبة كحالة عقلية نفسية عابرة لا يمكن تجسيدها، أو اتخاذها منطلقا لعمل إبداعي، فعمد إلى الخيار الثاني، ليكون ذلك الشعور بوابة ومنطلقا لإنجاز هذا الطبق السينمائي الملفت «إن بارادوكس».

ويبشّر عرض الفيلم، وهو الطويل الأول للمخرج، في «نيتفليكس» وإدراجه في لائحة «غولدن غلوب»، كخطوتين أساسيتين لتسويق الأفلام الكويتية والخليجية دوليا، بمسيرة ناجحة للصرّاف في ميدان الفن السابع. ويشكل حافزا معنويا مهمّا له، لصقل موهبته وتطويرها، في أفق مواصلة المسار بأعمال متميزة وناجحة أخرى. ولم يأتِ اختيار «إن بارادوكس» للعرض على «نتفليكس» من فراغ، فقد حظي، قبل ذلك، بالإشادة والتنويه في عدة مهرجانات سينمائية، منها مهرجان الدار البيضاء للفيلم العربي. والفيلم من بطولة الممثل الكويتي فيصل العميري والممثلة السورية جفرا يونس، وشارك فيه ممثلون من الكويت وسورية وتونس، وأشادت مقالات نقدية باحترافية المخرج، وتمكّنه من أدوات اشتغاله، وضبطه أبجديات الإخراج السينمائي، فنيا وتقنيا.

والحقيقة أن حمد الصرّاف أبان عن إصرار على متابعة المشوار في هذا المجال الصّعب درجةً درجة، وبدون «انبهار»، أو اكتفاء بأول نجاح؛ الخطأ الذي يقع فيه معظم فنانينا وأدبائنا ورياضيينا العرب، الذين غالبا ما يقضي عليهم «الغرور» وتضخّم الذات بعد تحقيق أول نجاح. فإذا كان الشريط يُعرَض مصحوبا بترجمة إلى الإنجليزية، فإن مخرجه الشاب انكبّ، على الفور، في إعداد ترجمته إلى الفرنسية والإسبانية؛ ما يؤشّر إلى مثابرة الصرّاف على نقش اسمه بإصرار في ميدان مليء بالمنافسين، وبمغريات الانخداع بنجاحات البدايات، وهو بذلك جعل من نجاحه هذا منطلقا لنشر الفيلم في أكثر من لغة.

> «إن بارادوكس» أول شريط كويتي يدخل قائمة «غولدن غلوب» للمنافسة في فئة الأفلام الأجنبية

وكان الصرّاف قد شقّ أولى خطواته في ميدان الفن السابع بشريطه القصير «فيكتور» (إنتاج 2015)، وانخرط في دورات أكاديمية عديدة في لندن، لتطوير مهاراته وتقنياته السينمائية، وقد عُرف بميله إلى تقديم صنف سينمائي «ذهني» جديد في منطقة الخليج، وهو التوجّه الذي جسّده بوضوح شريطه الطويل الأول «إن باردوكس». فبعد اقتناعه بالفكرة، واكتمال تصوّره الأولي عنها وكتابة السّيناريو، ذلل مختلف العراقيل والتحدّيات التي واجهته، بما فيها وضع موازنة للفيلم، وإيجاد مصادر التمويل، وحتى موقع مناسب للتصوير، بحيث يوحي بـ«اللازمان واللامكان»، لإيجاد عوالم مناسبة لبطل قصةٍ تخلّلها تجريدٌ لم تعتده عين المُشاهد العربي كثيرا. وبعد أن أنهى ذلك كله، كان لا بد من تفاصيل لم تكن مجرّد «تفاصيل» لإخراج هذا الشريط المتميز بجدّته وزاوية معالجته. ولن يتوّج ذلك بالنجاح من دون فنانين وقع عليهم اختيارهم ليشاركوه المغامرة. وبعد شهور من الاجتماعات المكثفة لتحديد الأسلوب والرؤية العامّين وأدق التفاصيل، من ألوان وأزياء وإضاءة، رأى «إن بارادوكس»، الخارج على المألوف، النور.

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالا**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**